افتتاحية

ما أعجب حال اللغة العربية مع أهلها !!

كتب شاعر النيل حافظ إبراهيم قصيدةً بعنوان (اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها)، وما أراها - وقد مضت عشرات السنين على ذلك النعي - إلا في ازديادٍ من الحسرة والألم من الحظ العاثر الذي جعلها لغةَ أمةٍ مفرِّطة، لا تعي – في مجموعها - قيمةً لهويتها ، ولا هدفاً لحياتها، فلا مكان للاعتزاز بلغتها عند أكثر الناس.

ومع هذا ما تزال جهودٌ مخلصة تبذلُ في سبيل التوعية والتبصرة بقيمة العربية وحقها علينا، ومن تلك الجهود إعلان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يومَ الأول من مارس من كل عام يوما عربيًّا للغة العربية، ونقتطف من بيان المدير العام للمنظمة بهذه المناسبة هذه الأقوال الدالة على الوعي بقيمة اللغة وضرورتها الحضارية من جهة، وطبيعة أزمتها الحالية من جهة أخرى:

- «لقد تجاوزت التحديات اليوم قضايا اللغة في ذاتها إلى أصحابها، المشكلة اليوم في علاقة أصحاب اللغة باللغة، وليست في تدعيم اللغة وإسنادها. وهذه المنطقة أخطر بكثير؛ لأنها تتصل بالإنسان صاحب اللغة وبنيته النفسية تجاه لغته. والمنظمة تعرف أن وراء هذه المنطقة الخطرة المنظومة الحضارية التي نعيشها، والتي تكتسح اكتساحًا اللغات الوطنية الإقليمية على الرغم من ارتفاع الأصوات الداعية إلى احترام الخصوصيات والحفاظ عليها».
- «اللغة تصوغ عقول أصحابها، وتشكل رؤيتهم لأنفسهم وللعالم، وبمقدار ثرائها وقدرتها على التغيير والتعبير تضخ في عروقهم دماء جديدة، وتكسبهم حضورًا خاصًّا ومتفردًا».
- «نختزل اللغة اختزالا عندما ننظر إليها على أنها وسيلة تواصل، إنها أعلى من ذلك كثيرًا؛ فهي صانعة العلم، وحاملة التراث، ومدونة التاريخ ووعاء القيم، وبوتقة الخصوصية (الهوية)».

- «يحتفل العالم في ١٨ كانون أول / ديسمبر سنويًّا باللغة العربية، ونحتفل نحن العرب بها في الأول من مارس/ آذار سنويًّا، واحتفالنا بها ليس بغرض التغني بها والتمجيد لها، ولكنه بغرض إذكاء جذوة هذه اللغة لتقوم بالجدل الحي مع أصحابها بدورها التاريخي من جديد».

وفي هذا الإطار أقام معهد المخطوطات بالقاهرة في التاسع من مارس احتفالية بهذا اليوم، تحت عنوان (العربية في زمن الثورات)، وقد شرفني مدير المعهد الدكتور فيصل الحفيان بدعوة كريمة لإلقاء كلمة حول **العربية بين دعوات الإصلاح وقيم التغيير**، أشرت فيها إلى أنَّ العربية حظيت منذ أكثر من قرن من الزمان بدعوات إصلاحية تتغيا الرقي بها وتقويم تعليمها، وإنْ جاءت بعض هذه الدعوات مغرضةً ملبسة ظاهرها الإصلاح وباطنها القضاء على الفصحى وإحلال العامية محلها في النطق، والحروف اللاتينية محل العربية في الكتابة، لكن تصدى لهذه الدعوات رجال كانوا على وعي بحقيقتها وخطورتها، ومع هذا استمر الانفصال النفسي بين العربية وأبنائها، حتى أصبحت دعوات الإصلاح الجزئية لا تكفي، وبتنا في حاجة ماسة إلى ثورة فكرية ونهضوية شاملة، تقوم على ثلاث دعائم:

الأولى- رغبة سياسية راسخة في أن تنهض أمتنا من كبوتها التي طالت، وتترك موقعها الأثير في العالم الثالث، وتقرر أنْ تكون من دول العالم الأول، وحينئذٍ ستتخِذُ الإرادة السياسية من الوسائل ما يعينها على تحقيق هذا الطموح، وستعمل على بثه في عقول أبناء الأمة العربية وقلوبها مستعينة على ذلك بإعلام مؤثر، وتعليم موجِّه.

الثانية- نهضة علمية أصيلة لا تكتفي بنقل النتاج العلمي الغربي والشرقي واستهلاكه، بل تنزل إلى مضمار الاكتشافات والاختراعات العلمية والنظريات المنهجية، حتى تنافسَ بنتاج أصيل غيرِ مُسْتَوْرَد ما لدى الآخرين، وتحرصَ على التفوق عليه، حينئذٍ سيكون لنا حياةٌ ورؤى يسعى إليها غيرنا.

الثالثة- وعي عام بقيمة اللغة العربية الفصحى، يَقَرُّ في ضمير الإدارة السياسية فتُسَخِّرُ ما لديها من إمكانات لنقله إلى الشعوب العربية، وتحويله

إلى عقيدة راسخة، تملأ كيانَها، حتى تدركَ أنَّ الحفاظ على بقائها، وتقدمها، واستقرارها، ووحدتها رهينٌ بالحفاظ على العربية واحترامها.

حينئذٍ تعود للإنسان العربي ثقته بنفسه، ووعيه بقيمة العربية في تشكيل هويته والحفاظ على وحدة أمته، مما يهيئ لها مكانة سامقة بين اللغات.

رئيس التحرير